

أنا وأنت على الطريق

الحبيبان يتشابهان في اللغة وأسلوب الكتابة

سيدتي المستمعة،

هل تعلمين أن الحبيبين يتشابهان في اللغة وأسلوب الكتابة؟

يقول التقرير الوارد مؤخرا في إحدى الصحف العربية ما يلي في هذا الموضوع:

يقال إن العشاق يتشابهون. يستمعون إلى الموسيقى ذاتها ، يحبون الأغاني ذاتها ، ويفضلون الأطباق ذاتها. لابل ويتحدثون اللغة ذاتها. وما إن انفصلوا حتى يستعيد كل منهم لغته الخاصة. ليس هذا كلاما في الغرام ، بل هو كلام علمي. ففي دراسة أجراها جامعة تكساس الأمريكية تبين أن العشاق يطوِّرون لغتهم الخاصة ، كل ثنائي على حدة، تتدفق وتتحسر وفقا لحالة العلاقة بينهما. وأوضح العلماء أن الأحباء يتحدثون ويكتبون بالطريقة ذاتها. فيكررون الكلمات والجمل التي يستخدمها الشريك. ولكن ما أن تتقطع العلاقة، حتى يغدو العشاق السابقون وكأنهم غرباء. واستقى العلماء هذه النظرية من تحليلهم للقوائد والرسائل التي كتبها ثنائيان هما الشاعرة الفيكترورية اليزابيت باريت وحبيبها روبرت برونينغ ، والشاعر المعاصر تيد هوفز وسيلفيا بلاث. ووجد الباحثون أن هؤلاء الشعراء استخدموا اللغة والأسلوب الكتابي ذاتهما، وكلما كانت العلاقة وثيقة كشفت القوائد والرسائل ذلك.

نتابع سيدتي التقرير عن الزوجين الحبيبين وكيف هما يتشابهان في اللغة وأسلوب الكتابة. وفي حالة هوفز وبلاث اللذين كانت تجمعهما علاقة هشة ، تطورت لغتهما المتماهية أي المثلثة بشكل دراماتيكي قبل أن تتلاشى عندما انهار زواجهما. واقترح الباحثون أن "تماهي أو تماثل اللغة والأسلوب الكتابي" قد يكشف بسهولة وبسرعة عن الوضع العاطفي بين أي ثنائي، سواء أكانا خصمين في العمل أو شريكين في علاقة عاطفية. وعليه، فإنه يكشف عما إذا كانا على "الصفحة ذاتها" أي متفقين. وقد ينبئ بما يخبئ لهما المستقبل. وشرح عالم النفس جيمس بينيكر أنه عندما يبدأ شخصان حوارا فإنهما سرعان ما يستخدمان اللغة ذاتها، وذلك في غضون ثوان. وعليه ، من أجل معرفة وضع العلاقة العاطفية التي تجمع شخصين ، ما عليك سوى أن تدقق في اللغة التي يستخدمانها في رسائل أو في حديثهما. كل ما عليك هو مراقبة الطريقة التي يستخدمان فيها الأفعال والفواصل وغيرها من الكلمات. وباستخدام تقنية التحليل ذاتها، وجد العلماء تطابقا في طريقة الكتابة وعرض الاحصاءات بين الأصدقاء. حيث حللوا الرسائل التي تبادلها سيغموند فرويد وصديقه كارل يونغ أسبوعيا على مدى سبع سنوات. فتبيّن كيف تطابقت اللغة عندما باتا صديقين ، ثم تباينت عندما اختلفا.

إذن، علاقة المحبة تجمع الشريكين والحبيبين والزوجين، وتجعلهما يتشابهان حتى في الكلام والألفاظ المستخدمة. والعكس أيضا صحيح، فإنّ انقطاع العلاقة يؤدي إلى الاختلاف والتنافر والتباين. نعم يا صديقتي، فإنّ عدم التوافق وعدم الانسجام هو سمة لكل علاقة منهارة بسبب انعدام المحبة. وهكذا تصبح اللغة متباينة مغايرة ومناقضة. هكذا هي علاقة الإنسان أيضا بالله يا سيدتي. فعندما يقترب الإنسان من خالقه تعالى وعندما يحب الله من كل قلبه ونفسه وفكره كما طلب منه منذ بداية الخليقة، فإنّ سمات المحبة وصفاتها تتجسد وتظهر في العلاقة الحميمة بينهما. والعكس أيضا صحيح، فكما ابتعد الإنسان عن خالقه كلما انتفت عنه صفات المحبة، وكلما سادت الكراهية وحلت العداوة بينه وبين ربه.

نعم يا صديقتي، هذا ما حصل بالضبط عندما وقع أبوانا الأولان آدم وحواء في خطية العصيان. فبعد أن كان الله الخالق العظيم عشرة معهما وشركة طيبة بينهما، إذ كان يتكلم إليهما وهما في جنة عدن، عصيا أمره وأكلا من شجرة معرفة الخير والشر التي نهاهما عنها. عندها يخبرنا الكتاب المقدس الذي كتب بوحي من روح الله ويقول: " وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر. والآن نعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرج الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة." (تك ٣: ٢٢-٢٤) ولما صار الإنسان خارج دائرة علاقة المحبة، راح يتصرّف على هواه لأنه صار بعيدا عن الله ولم يعد يعكس صورة الله في حياته. بل صارت حياة الإنسان تعكس أنانيته ومصالحه هو وأصبح منقاداً بحسب أهوائه وشهواته .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل لازلتِ تعكسين صورة العصيان والتنافر في حياتك يا سيدتي؟ أم أنك تصالحت مع الله خالقك من خلال الفادي يسوع المسيح الذي أتى لكي يصلح الإنسان الخاطيء مع الله القدوس والعاقل؟ إذا تصالحت مع الله فمرحى لك لأنك سوف تعيشين في علاقة مودة ومحبة تعكسين صفاته وتتشبهين بيسوع المسيح المخلص والفادي الذي بذل نفسه لكي يدفع ثمن عصيان الإنسان وأجرة خطاياها. فهل هناك أجمل من علاقة المحبة التي تجمع الخالق بالمخلوق؟ وهل هناك أجمل من أن يعكس الإنسان صورة الله للعالم من حوله صورة القداسة والطهارة والمحبة والانسجام وليس العكس.
